

المحاضرة الثانية: نشأة علم اللغة النفسي، وأهدافه، وموضوعه.

توطئة: يعد علم اللغة النفسي ميدانا هاما جدا في مجال البحوث اللغوية المتعلقة بطرائق اكتساب وتعلم اللغة، وهو من أهم فروع اللسانيات التطبيقية، ظهر نتيجة لامتزاج علم اللغة بعلم النفس، وهو يحاول التطرق إلى علاقة اللسان بالعقل، وإلى دراسة اللسان كونه ظاهرة إنسانية مرتبطة أساسا بالحالات النفسية للإنسان، فهو العلم الذي يفسر تأثير الحالات النفسية للإنسان بمدى اكتسابه أو تعلمه للغات.

1 تاريخ وظروف نشأة علم اللغة النفسي:

يتفق كثير من الدارسين على أن علم اللغة النفسي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية في الخمسينات من القرن الماضي؛ وكان ذلك إثر ظهور النظرية التوليدية التحويلية عند نعوم تشومسكي N.Chomsky والتي كان لها دور كبير في ظهوره، "هناك لغويون كثيرون يرون أن لظهور النظرية التوليدية التحويلية (generative, transformational) في اللغة لدى تشومسكي الفضل في نشأة علم اللغة النفسي الذي يبحث في العلاقة ما بين اللغة والعقل البشري أو النفس البشرية. تلك النظرية التي بحثت مبنّي الجملة، العميق والسطحي، عقدت الصلة بين التحليل اللغوي ونظرية التعلم والمعلومات". وهو ما يفسر اختلاف ثنائية (الدال / المدلول) عند دو سوسير عن ثنائية (البنية السطحية/ البنية العميقة) عند تشومسكي؛ فإذا قابل مفهوم "الدال" مفهوم "البنية السطحية"، فإن مفهوم "البنية العميقة" مختلف تماما عن مفهوم "المدلول"؛ حيث إذا كان المدلول مرتبطا بالجانب الذهني، فإن البنية العميقة تشمل - إضافة إلى الجوانب الذهنية- الظروف النفسية والسيكولوجية التي تؤثر على إنتاج الكلام.

ويرى الدكتور جلال شمس الدين أن هذا العلم ظهر "عندما بدأ مع عالم النفس المشهور جورج ملر التعاون مع تشومسكي في دراسة بعض الجوانب النفسية من اللغة. ويرجع الفضل أولا وأخيرا في نشأة هذا العلم إلى أفكار تشومسكي ونظريته الثورية". وتضاف إلى إسهامات تشومسكي في ظهور هذا العلم جهود سكينر Skinner من خلال كتابه (السلوك اللفظي verbal behavior).

وكان من دواعي ظهور هذا المجال المعرفي هو إدراك الدارسين للصلة المتينة القائمة بين اللسان والظروف النفسية والعقلية للمتكلم، حيث "شاع وانتشر بين اللغويين الشغوفين بالمجالات والأبحاث

النفسية، والذين نظروا بوعي واهتمام إلى ظاهرة الكلام الإنساني وما له من صلات نفسية وعقلية داخل الكيان البشري. ثم تحول هذا التخصص الجديد دارسا وحسب حالة الإنسان أثناء عملية التواصل، فرسّمت حدود هذه الدراسة بالنظر إلى الحالات العضوية والنفسية لإنتاج الكلام وإدراكه والمواقف العاطفية والذهنية تجاه حدث من أحداث التواصل".

ولئن كانت لآراء تشومسكي الثورية في مجال اللسانيات، وتعاونه مع عالم النفس ميلر الأثر الكبير في ظهور علم النفس اللغوي، إلا أن إدراك العلاقة بين علم النفس واللسانيات قديم، ويعد أصحاب الاتجاه السلوكي في دراسة اللسان، وعلى رأسهم ليونارد بلومفيلد L.Bloomfield من أوائل اللسانيين الذين استعانوا بالجوانب النفسية في تفسيرهم للظواهر اللغوية؛ ف"العلاقة الفعلية التي نشأت بين علمي اللغة والنفس، أرجعت إلى حامل لواء السلوكية اللغوي الأمريكي ليونارد بلومفيلد L.Bloomfield الذي مزج دراسة اللغة بمعطيات علم النفس، وقد جلا ذلك بصورة واضحة في كتابه الموسوم بـ"مدخل إلى دراسة اللغة"، وقام بمراجعته وإخراجه تحت عنوان: "اللغة" « language » الذي يعد مرجعا مهما في الدرس اللساني الأمريكي. وبلومفيلد من المتأثرين بالمنهج السلوكي، وقد انتهى إلى اعتبار "علم النفس السلوكي" الطريقة المثلى والوحيدة التي يمكن من خلالها وعلى ضوءها دراسة الدلالات اللغوية".

وعلى هذا، فقد كان ظهور علم النفس اللغوي نتيجة التحام علم النفس باللسانيات، فعندما يدرس علم النفس اللغة لأغراض نفسية سمي علم النفس اللغوي، أما إذا درس اللغة لأغراض اللغة في ذاتها سمي علم اللغة النفسي. كما أن هذا المجال "لم يبدأ من الصفر رغم حدثه، بل بدأ من حيث انتهت منجزات علم النفس اللغوي (...). وغزارة النظريات والظواهر اللغوية التي تراكمت عبر السنين منتظرة الوقت المناسب لدراستها دراسة علمية، وما أن جاء هذا الوقت حتى انطلقت هذه الدراسة في طريق ممد، مهده علم النفس بمذاهبه المختلفة".

2 أهداف علم اللغة النفسي:

يسعى علم اللغة النفسي إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف يكتسب الإنسان اللغة والكلام؟
- كيف ينتج الإنسان اللغة والكلام؟
- كيف يفهم الإنسان اللغة والكلام؟

- كيف يفقد الإنسان اللغة والكلام؟

ويتفرع عن هذه التساؤلات الجوهرية، أسئلة فرعية يحاول علم اللغة النفسي الخوض فيها، ويمكن تلخيصها في الآتي:

- ما العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من قول ما يريدون قوله. أي كيف يستطيع الفرد استخدام معرفته اللغوية حين إنتاج الكلام وفهمه؟

- كيف يمكن للفرد اكتساب المعرفة اللغوية التي تمكنه من استخدامها؟

- كيف تتم عملية اختيار المتكلم للمفردات التي يحتاجها للتعبير عن أفكاره وتوصيلها إلى الطرف الآخر بطريقة تؤدي إلى فهمها في سهولة ويسر؟ يهدف هذا التساؤل أساساً إلى الكشف عن "المعجم الذهني" وكذا "كيفية استدعاء المخزون اللغوي من الذاكرة".

- ما الطريق الذي يتبعه الأطفال في تعلم كيفية إنتاج اللغة وفهمها في المراحل العمرية المبكرة؟

يهدف علم اللغة النفسي -بالإضافة إلى الإجابة عن التساؤلات السابقة- إلى النظر في القضايا اللغوية الآتية:

- كشف العلاقة بين اللغة والأمراض النفسية التي يندرج تحته ما يسمى "التخلف العقلي" الذي يؤدي إلى بعض الأمراض اللغوية، ويظهر ذلك في تأويل الكلام على غير ما يفهم عامة الناس، والهديان والهلوسة السمعية وغيرها.

- دراسة ما يسمى "باللغة الانفعالية"، وذلك بتحليل الأنماط اللغوية وما تحمله من معنى "تفسير انفعالي" الذي هو غير المعنى الاصطلاحي العام للكلمة في المعجم. وذلك لأن الكثير من ألفاظنا إنما هي مشحونة بمعانٍ نفسية انفعالية، عكس خبرات الفرد الخاصة والجماعية، وهذا هو التمايز الدلالي للكلمات.

ومن جهته يبيّن جلال شمس الدين أهداف هذا المجال المعرفي في النقاط الآتية:

- هو يبسر لنا معرفة دور اللغة في العرفان cognition، ويعكس لنا إنجازات الطفل في حل شفرة الأبنية اللغوية وإنشائها.

- معرفة كيف يكتسب الأطفال الأبنية اللغوية وكيف تستخدم هذه الأبنية في عمليات الكلام والفهم والتذكر.

- إذا كان للإنسان قدرة على أن ينتج ويفهم عددا غير محدود من الرسائل اللغوية، فإن من أهم قضايا علم اللغة النفسي أن يفهم طبيعة هذه القدرة وتطورها.
- يرى أصحاب هذا العلم أن الدراسات النفسية للكلام، يمكن أن تؤدي إلى فهم العمليات العقلية بالعقل الإنساني، بل يرون أننا أصبحنا على وشك الولوج بطريقة منهجية إلى هذا العالم -عالم العقل - (...) فاللغة هي النافذة التي تطل على العقل، وذلك من دراسة العمليات العقلية المستخدمة في اللغة، وكذا من تعلم الكلام.
- من الأهداف التطبيقية لعلمك اللغة النفسي، تصميم نماذج الفهم للكمبيوتر لتصميم برامج التخاطب مع الكمبيوتر لإجراء العمليات المختلفة التي تبدأ من حجز تذاكر الطائرات إلى سائر الأهداف الأخرى التي سوف تصل إلى مديات قد تضاهي ما يحدث بين البشر.
- ونظرا لأن علم اللغة النفسي قد اتخذ من التجريب منهجا فإننا نستطيع أن نقول أن الهدف الرئيسي لعلم اللغة النفسي هو استخدام التجريب للكشف عن العمليات العقلية المتضمنة في استخدام اللغة.

3 موضوع علم اللغة النفسي:

يعد علم اللغة النفسي من أهم فروع اللسانيات التطبيقية والذي يهتم أساسا بالنظر في عمليات اكتساب اللغة وتعلمها وتوظيفها وفهمها، وربط ذلك بالجوانب النفسية؛ ومعنى ذلك أن موضوع علم اللغة النفسي هو اللغة في حد ذاتها؛ "أي دراسة اللغة والبحث فيها وصفا وتحليلا واكتسابا وتعلما وتعلما. بيد أن هذه الدراسة تنطلق من المفهوم اللغوي المعرفي الفطري المعاصر الذي يرى أن وظيفة اللغوي هي الغوص في أعماق اللغة والبحث في جوانبها النفسية المعرفية، وما يرتبط بذلك كله من نواح فسيولوجية واجتماعية؛ للوقوف على ما يعرفه الإنسان عن اللغة، بدلا من الاقتصار على وصفها وصفا شكليا ينحصر في الأصوات والصرف والنحو والدلالة".

ويلخص الدكتور عبد العزيز العصيلي المجالات التي تشكل موضوع علم اللغة النفسي في الآتي:

- فهم اللغة، سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة؛ حيث يركز في هذا المجال على الدراسة التفصيلية للعمليات العصبية والعقلية، المستخدمة في فهم اللغة؛ كاستقبال الرسالة اللغوية، والتعرف عليها، وتحديد معنى الكلمات في الرسالة، وفهم جملتها بعد تحليلها تحليلا نحويا و صرفيا، وضم

هذه الجمل بصورة متماسكة تؤدي إلى فهم الفقرة أو الفقرات التي تكوّن في مجملها رسالة متماسكة مفهومة.

- استعمال اللغة، أو إصدار الكلام؛ حيث يركز في هذا المجال على إنتاج الكلام بدءاً بالعمليات النفسية التي تسبق الكلام، ومروراً بإنتاج الكلام نفسه فسيولوجياً، ثم مروره بالوسط الفيزيائي الناقل له، حتى وصوله إلى أذن السامع، وما يرتبط بهذه العمليات من مراحل، وما يحدث من مشكلات في نقل الرسالة.

- اكتساب اللغة سواء أكانت لغة أما أم لغة ثانية أو أجنبية، لكن الدراسات في هذا المجال غالباً ما تركز على اكتساب الأطفال لغاتهم الأم.

- العمليات التواصلية وما يرتبط بها من نواح فسيولوجية وفيزيائية وسمعية وعصبية، والعوامل المؤثرة في ذلك، سواء أكانت عوامل داخلية أم عوامل خارجية.

- المشكلات والاضطرابات اللغوية؛ كعيوب النطق الخلقية، أو العيوب اللغوية التي تحدث نتيجة إصابة عضو من أعضاء النطق أو السمع أو البصر أو ما يرتبط بها من أعصاب أو أجهزة في مراكز اللغة في الدماغ.

- الثنائية اللغوية bilingualism والتعددية اللغوية multilingualism، ودراسة ما يتعلق بهما من مسائل ومشكلات في اكتساب اللغات الأم أو الثانية.

- دراسة العمليات النفسية التي تحدث في أثناء القراءة؛ تلك العمليات التي أصبحت علماً مستقلاً أطلق عليه علم القراءة النفسي أو علم نفس القراءة، المعروفة بسيكولوجية القراءة psychology of reading، سواء في اللغة الأم أم في اللغة الثانية أو الأجنبية.

- لغة الإشارة عند الصم من حيث الاستعمال والاكتساب والتفعيد وما يتعلق بها من قضايا ومشكلات لغوية ونفسية واجتماعية.

- الذكاء الاصطناعي artificial intelligence، الذي ازدهرت الدراسات فيه في السنوات الأخيرة؛ نتيجة ثورة المعلومات الحاسوبية.

غير أن دراسة اللغة ضمن علم اللغة النفسي يتميز بأنه يعتبر "عمليتي إنتاج اللغة وفهمها تزامنياً في وقت واحد عند أي نقطة زمنية فبالإمكان اعتبارهما مهمتين لغويتين نفسييتين متناظرتين. فبينما تستعمل الأولى على توليف التراكيب اللغوية، فإن الثانية تشتمل على تحليل تلك التراكيب، ولذلك يتطلب إنتاج اللغة المواهب التوليفية لطباخ ذهني خيالي يقوم بانتقاء العناصر المناسبة ويزنّها بعناية ثم

يخلطها معا لكي يبتكر منها أكلة جديدة. وفي الناحية الأخرى يتطلب فهم اللغة المهارات التحليلية لكيميائي ذهني يأخذ ما يقدم له "مهما كان" ثم يقوم بتحليله بعناية إلى عناصره ومكوناته الفردية لكي يفهمه على نحو كامل". ومنه يتميز النفسلغويون عن اللغويين في منهجية الدراسة، حتى وإن اتفقوا في الموضوع، وهذا ما يميز علم النفس اللغوي عن علم اللغة.

خاتمة:

حاولنا من خلال هذا الطرح التاريخي الذي تضمن الإطار التاريخي وظروف نشأة علم اللغة النفسي، والسياق الإستمولوجي الذي نشأ فيه هذا المجال المعرفي، والتلاقح الطبيعي الذي حدث بين علم النفس وعلم اللغة، والذي نتج عنه هذا الحقل، أن نبرز ظروف تلك النشأة وأهمية تضافر مختلف التخصصات العلمية في العلوم الإنسانية لدراسة الظواهر اللغوية، والتركيز على أهداف هذا العلم وأهم القضايا التي يتناولها بالدراسة والتحليل.